

دور الجامعة في خدمة المجتمع

د. دحمان بريني

جامعة الجلفة

ملخص

يؤدي التعليم دورا هاما في تطوير المجتمع وتنميته وذلك من خلال إسهام مؤسساته في تخريج الكوادر البشرية المدربة على العمل في كافة المجالات والتخصصات المختلفة وتعد الجامعة من أهم هذه المؤسسات حيث يناط بها مجموعة من الأهداف تتدرج تحت وظائف رئيسية ثلاثة هي التعليم وإعداد القوي البشرية، البحث العلمي إضافة إلى خدمة المجتمع، حيث تعتبر الجامعة أهم المؤسسات الاجتماعية التي تؤثر وتتأثر بالجو الاجتماعي المحيط بها، فهي من صنع المجتمع من ناحية، ومن ناحية أخرى هي أداته في صنع قيادته الفنية والمهنية والسياسية والفكرية، ومن هنا كانت لكل جامعة رسالتها التي تتولى تحقيقها وهكذا لكل نوع من المجتمعات جامعته التي تناسبه. وبالتالي تعد خدمة المجتمع من أبرز وظائف الجامعة في الوقت الحالي بما توفره من مناخ يتيح ممارسة الديمقراطية وفي المشاركة الفعالة في الرأي والعمل، كما تنمّي لدى المتعلمين القدرة على المشاركة والإسهام في بناء المجتمع وحل مشكلاته، كما تنمّي لديهم الرغبة الحادة في البحث عن المعرفة وتحدي الواقع واستمرار المستقبل في إطار منهج علمي دقيق يراعى الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع، وبالتالي فإنه يمكن للجامعة خدمة المجتمع عن طريق الإسهام في ربط البحث العلمي باحتياجات قطاعات الإنتاج والخدمات، بهذا تصل الجامعة بالمجتمع إلى الرقي والتقدم الأمر الذي يجعل المجتمع دائم الازدهار ومواكبا لتطورات العصر، كما أن الجامعة بما تقدمه من كفاءات مدربة تعتبر عاملا من عوامل التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الجامعة - المجتمع - خدمة المجتمع

Abstract

Education plays an important role in the development of the society through the contribution of its institutions in the graduation of human cadres trained to work in all fields and different disciplines. The university is one of the most important institutions with a set of objectives that fall under three main functions: education, human resources development, scientific research and community service. The university is considered as the most important social institution that influences and is influenced by the social environment around it.

On one hand It is made by the community and on the other hand it is its tools in the training of his artistic, professional, political and intellectual leaders, thus serving community is one of the most prominent functions of the university by its participation and its contribution in building a strong and developed society by solving its problems and linking scientific research to the different needs of the production sectors because the university, with its trained competencies, is one of the factors of economic and social development in society.

Key words: University - Society - Society Serving

مقدمة

تعد الجامعات ركنا أساسيا من أركان بناء الدولة العصرية، ومركزاً للتكوين وإعداد الإطارات الوطنية المؤهلة على أرفع مستوى في مختلف التخصصات، من خلال أداء رسالتها التعليمية والبحثية وخدمة المجتمع، كما أنها تمثل في الوقت نفسه مركزا علميا وبحثيا يرتبط بقضايا المجتمع في حركته التنموية وأهدافه البعيدة المدى في مزاجية فاعلة بين الجوانب العلمية واحتياجات القطاعات المختلفة للمجتمع. والجامعة في أي مجتمع لا يمكن أن تؤدي دورها المحدد في دراسة الظواهر الاجتماعية دون

تحقيق التفاعل بين الفرد وبيئته فهي مؤسسة تؤثر وتتأثر بما يحيط بها من ظواهر معاصرة تفرضها أوضاع المجتمع وظروفه، وهذه الصلة الوثيقة بين الجامعة والمجتمع تفرض عليها أن تهتم برصد الأبعاد المختلفة للظواهر الاجتماعية التي تمر بها المجتمعات ودراساتها.

وقد أصبحت الجامعات، من جهة أخرى، تضطلع بثلاث مهام أساسية وهي: التعليم، البحث العلمي، وخدمة المجتمع، إلا أنه مما لا شك فيه أن المهمتين الأخيرتين أصبحتا تحظيان بمزيد من الاهتمام سواء من الجامعات أو المجتمعات ذاتها؛ ويرجع ذلك إلى إدراك المجتمعات للدور الفاعل الذي يمكن أن تلعبه الجامعات في الكشف عن العديد من مشكلات المجتمع، وتقديم الحلول العلمية والعملية القادرة على معالجتها، لذا أصبحت الجامعات أحد أهم الركائز التي تعتمد عليها المجتمعات الإنسانية في مسيرتها نحو التقدم على مختلف الأصعدة. كما تزايدت القناعة بأن إسهاماتها يجب ألا تقتصر على دورها كونها رافدا للتنمية وحسب، بل يجب أن تمتد تلك الإسهامات لتشمل أيضا العمل على تحصين المجتمعات ثقافيا ومعنويا وأخلاقيا في وجه ما تتعرض له من ظواهر قد تؤدي إلى النيل من هويتها ومنظومتها القيمية.

I. الجامعة

1. مفهوم الجامعة

لا يوجد تعريف قائم بذاته أو تحديد شخصي وعالمي لمفهوم الجامعة¹، لذلك فإن كل مجتمع ينشئ جامعته ويحدد لها أهدافها بناء على ما تملبه عليه مشاكله ومطامحه وتوجهه السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

ويعتبر التعليم الجامعي من أهم المراحل التعليمية، وهو ينال بمستوياته المختلفة كثيرا من العناية والاهتمام في معظم دول العالم لما يؤديه من دور هام في مجال التنمية البشرية والاجتماعية والاقتصادية، حيث تتفاعل الجامعات مع المجتمع، في بحث حاجاته وتوفير متطلباته²، لذلك تعد الجامعات ركنا أساسيا من أركان بناء الدولة العصرية، ومركزاً للتنوير وإعداد الإطارات الوطنية المؤهلة على أرفع مستوى في مختلف التخصصات، كما أنها تمثل في الوقت نفسه مركزا علميا وبحثيا يرتبط بقضايا المجتمع في حركته التنموية وأهدافه البعيدة المدى في مزاج فاعلة بين الجوانب العلمية واحتياجات القطاعات المختلفة للمجتمع، ولهذا أصبحت الجامعات أحد أهم الركائز التي تعتمد عليها المجتمعات الإنسانية في الكشف عن العديد من مشكلاتها ومن ثم تقديم الحلول العلمية والعملية من أجل إتمام مسيرتها نحو التقدم، كما تزايدت القناعة بأن إسهامات الجامعة يجب ألا تقتصر على دورها كونها رافدا للتنمية وحسب، بل يجب أن تمتد تلك الإسهامات لتشمل أيضا العمل على تحصين المجتمعات ثقافيا ومعنويا وأخلاقيا في وجه ما تتعرض له من ظواهر قد تؤدي إلى النيل من هويتها ومنظومتها القيمية.

إن كلمة الجامعة تعني التجمع والتجميع، وهذا المفهوم يعود في الأصل إلى كلمة كلية "college" ذات المصدر اللاتيني "collegio" وتشير إلى التجمع والقراءة معا، وقد استخدمت الكلمة في القرن الثالث عشر من قبل الرومان للتدليل على مجموعة حرفين وتجار، وفي القرن الثامن عشر ميلادي أطلقت كلمة كلية على "أكسفورد" لتدل على مكان يجمع المجتمع المحلي للطلاب متضمنا مكان الإقامة المعيشية والتعليم³.

كما تعتبر الجامعة أيضا "مؤسسة تعليمية مركز للإشعاع الثقافي ونظاما ديناميكيا متفاعل العناصر تنطبق عليه مواصفات المجتمع البشري حيث يؤثر مجتمع الجامعة في الظروف المحيطة ويتأثر بها في نفس الوقت⁴، وهي بهذا مجتمعا علميا يهتم بالبحث عن الحقيقة ووظائفها الأساسية والتي تتمثل في التعليم والبحث العلمي وخدمة المجتمع الذي يحيط بها⁵.

وتعرف الجامعة أيضا على أنها الحافظة لذاكرة الشعب، وهي المؤهلة لاستقاء المعرفة من مناهل متعددة المصادر⁶، وفي هذا الإطار أسهمت الجامعة في تجاوز الفواصل الجغرافية والمعرفية والتاريخية وشاركت في بناء حضارة إنسانية وفي تحصين الأصالة الثقافية، فالجامعة على حد تعبير "علي احمد راشد" ليست مكانا لتلقي التعليم العالي فقط وإنما بيئة ورسالة⁷، باعتبارها موجودة في وسط وبيئة اجتماعية وثقافية، حيث يراها "محمد مصطفى" الأسعد على أنها "مؤسسة اجتماعية من صنع المجتمع وهي تمثل قمة الهرم التعليمي، ليس مجرد كونها آخر مراحل النظام التعليمي وحسب بل لأنها تتحمل مسؤولية كبيرة في صياغة وتكوين الشباب الجامعي علميا وقوميا وثقافيا وفكريا ووجدانيا، وأنها أداة المجتمع في صنع قياداته في مختلف الميادين الفنية والمهنية والاقتصادية والسياسية والإدارية والثقافية والفكرية، والتي من خلالها إما أن يتابع المجتمع مسيرة تنميته بخطى حثيثة وباندفاع وحيوية، وإما أن يراوح مكانه مع التقدم بخطى بطيئة"⁸.

وعموما تتحدد مفاهيم الجامعة تبعا لمهامها ووظائفها والتي جاءت كانعكاس للمراحل التاريخية التي مرت بها الجامعات الأوروبية خصوصا إلى غاية القرن السابع عشر حيث ضلت الجامعة تركز أهدافها على التربية الحرة والكلاسيكية والمتمثلة في اللغات والآداب والفلسفة والتاريخ متجاهلة حاجة مجتمعاتها.

2. وظائف الجامعة

إن المكانة التي تحتلها الجامعة والدور الإستراتيجي الذي تقوم به تجاه الأفراد والجماعات والمجتمع ككل جعلتها تتولى عدة وظائف تطورت بتطور المجتمع علميا وتكنولوجيا، فبعد ما كانت مهمتها المحافظة على المعرفة القائمة ونقلها إلى الأجيال أصبحت تعمل على نمو المعرفة وتطويرها في إطار ما يعرف بالبحث العلمي، وتتمثل هذه الوظيفة أساسا في تكوين الإطارات وتنمية المؤهلات والقدرات بأسلوب علمي منظم ومخطط وموجه، حيث لا يقتصر إعطاء الطلبة تدريبا حرفيا أو حشوههم بالمعرفة التخصصية، وإنما تثقيفهم عبر إبراز قواهم الفكرية وإثارة خيالهم في دراسة أية مواضيع تثير اهتمامهم وتشجعهم للغوص تحت سطح الحكمة التقليدية مع أسئلة لا تجد إجابات مفردة أو بسيطة، ومن ثمة حيازة ثقتهم بأنفسهم والتي ستبقى صامدة عندما يواجهون الحياة بعد التخرج⁹، كما أن الجامعة تقوم بالمحافظة على القيم الاجتماعية لدى الطلبة الجامعيين وترقيتها من خلال تكوينها وتربيتها بداخلهم ومساعدتهم على فهم الثقافة الوطنية والعالمية¹⁰ حتى يتمكنوا من المساهمة الفعلية في عملية التنمية، كما أنها تقوم بنقل التراث من جيل إلى آخر مع تطويره وتجديده¹¹، ومن هنا يمكن تلخيص هذه الوظائف في النقاط التالية:

• الدور التربوي للجامعة

ينطلق الدور التربوي للجامعة من أنها قيمة وأداة أساسية تسهم في تكوين شخصية الطالب وبلورة ولائحه الخاصة من الناحية الفكرية والعامة باعتباره فردا منتجا في مجتمعه، فارتباط الجامعة كمؤسسة تربوية قديما وبرجال الدين وسلالات النبلاء والنظرة لمؤسسات التعليم العالي باعتبارها أماكن مقدسة، يجعل الالتحاق بها قاصرا على فئة تتوافر لديهم المكانة الاجتماعية والأخلاقية والعقائدية والقدرات الشخصية الخاصة كالقدرة على التأمل والانشغال بأمور الكون المجردة والقدرة على تجسيد الأفكار وتنظيمها وتوظيف المعرفة، باعتبارها الأصل فيما تقوم به تلك المؤسسات من أعمال¹².

كذلك تعد الجامعة أهم المؤسسات في المجتمع، وهي تتبوأ منذ قديم الزمان مكان الصدارة فيه، فهي مركز إشعاع لكل جديد من الفكر والمعرفة، فقد ارتبطت الجامعة منذ نشأتها بحركات التنوير الفكري والتربوي كونها المنبر الذي تنطلق منه آراء المفكرين والعلماء ورواد الإصلاح والتطور¹³، فمساهمتها الإيجابية في خطط الإصلاح والتحديث التربوي يضيف إلى مكانتها قيما

راسخة تتمثل في التكامل الثقافي والتربوي والترابط بين نوعية التعليم المقدم والمهام التربوية الأخرى، حيث يرى البعض أن " الجامعة مكان لمجتمع بشري لا يعد للحياة بل هو الحياة نفسها، فالجامعة ليست موضوعية الأهداف، قاصرة المقصد بل هي مجتمع تربوي متكامل يعكس صفات المجتمع البشري وديناميته، وهي المكان الذي تتابع فيه الخطوات التدريجية التربوية والتعليمية، وتتعاون لتكون حياة البشر، وهي ليست عددا من الطلاب والأساتذة والعاملين يجمع بينهم المكان فقط، بل تفاعل الحركات بين هؤلاء لتهب للتعليم الجامعي النشاط والحركة والاندماج والعطاء"¹⁴.

• الدور الأكاديمي للجامعة

إن الأصل في الدور الأكاديمي للجامعة هو تناقل المعرفة في عمومياتها ثم تخطيطها وتنظيمها، ثم متابعة البحث العلمي للظواهر الطبيعية والإنسانية بهدف ترسيخ روح العلم وتوسيع دائرة المعلومات، وبذلك تحفظ التراث الحضاري وتعمل على تناقله من جيل لآخر، ومستمدة منه حاضرها ومتنبئة بمستقبلها، "ففي الماضي القريب كانت القدرة على السيطرة على الطاقة مفتاحا للقوة، أما في مجتمعنا الحالي ومجتمع الغد فسيكون استخدام المعلومات هو السبيل إلى السلطة، (المعرفة قوة). وسيكون الفقراء والضعفاء أولئك العاجزون عن استغلال المعلومات أكثر من كونهم الذين تعوزهم موارد الطاقة والثروة المادية، وسيثبت أن دور التعليم في تنمية القدرة على الوصول إلى المعلومات الأساسية، حيث تعد وسائل الاتصال والحاسبات الآلية امتدادات للجهاز العصبي والدماغ عند الإنسان، وعلى هذا فهي أكثر أهمية من الأدوات الميكانيكية التي هي امتداد للعضلات"¹⁵. ولقد كان الدور الأكاديمي تاريخيا دوما على جانب كبير من الحيوية والخطورة، وكان الأساتذة الجامعيون أكثر من أي جماعة مسئولون لاسيما الفئات العليا من بينهم عن الاستمرار التاريخي لفكرة الجامعة، وعليه فحينما تحدث التغييرات يكون للأساتذة أثر واضح في تشكيل تلك الأحداث وتوجيهها حتى وإن كانت المبادأة فيها لقوى خارجة عن الجامعة، حيث تأثرت معايير الدور الأكاديمي للجامعة بمرور الفترات التاريخية، ويعزى ذلك إلى أن الجامعة قد تطورت من مجرد مكان لتدريب الصفوة إلى مؤسسة التدريب وتأهيل وتعليم الكثرة.

• دور الجامعة في الحفاظ على معايير المجتمع

تعد البيئة الجامعية بمثابة السياق الإنساني والاجتماعي الذي يتم فيه وبه التفاعل بين العناصر الأساسية للعمل الجامعي من مكان وهيئة تدريسية وطلبة وإدارة وتنظيمات طلابية ونوادي، وعلاقات مع المجتمع. وتساهم البيئة الجامعية في بناء شخصية الأفراد المنتمين لها بما تمتلكه من دور كبير في التأثير على قيم طلابها، ولا يعود هذا التأثير لعامل معين، وإنما لعوامل عدة منها ما يتعلق بالمنهج وعلاقات الزمالة والنشاطات الجامعية، وغير ذلك من المؤثرات¹⁶.

إن أفكار الطالب وآرائه واتجاهاته وميوله ومعتقداته ونظراته إلى مختلف القضايا التي يتعايش معها بصورة مستمرة، أو التي تصادفه بين فترة وأخرى، والتي تتطلب منه إعطاء رأي فيها أو تكوين اتجاه نحوها، تشكل الجانب الوجداني في شخصيته¹⁷، وهي من الجوانب الأساسية التي ينبغي الاهتمام بها وتنميتها في الاتجاه الصحيح، بغرض تعديل سلوكه وتطويره بما يتماشى مع العادات والتقاليد الاجتماعية الصالحة في المجتمع، حيث يرى 'نادر فرجاني' أن البيئة الجامعية ببعدها الثقافي والتربوي لها دور مهم جدا في تأصيل السلوك الإنساني في شخصية الطالب، وتنمية الجوانب الوجدانية والأخلاقية فيه، حيث يؤكد على وجوب تضمن البرامج الدراسية الجوانب الأساسية الثلاثة والمتمثلة في المهارات والمعارف والسلوك، بدلا من انحصار الاهتمام في الجامعة بالمنهج المكتوب فقط، فالدراسات أثبتت أن الجانب الذي يتضمن المهارات والسلوك يشكل أساس النجاح ويتفوق على الجانب المعرفي¹⁸.

ويمثل الطلبة الجامعيون رأس المال الوطني، وهم عدة الاستثمار في المستقبل سواء لأسرهم أو لمجتمعهم بشكل عام، وأنهم يتأثرون بالعوامل السياسية والاجتماعية والثقافية التي تحيط بهم، وأنه يلزم التركيز على صحتهم النفسية والعناية بشخصياتهم للحاضر والمستقبل، مع توفير مناخ جيد ومناسب لهم¹⁹، ونظرا لأهمية الدور الذي تقوم به البيئة الجامعية في تشكيل حياة الطالب الجامعي في مختلف المجالات، فإن شيوع أية مظاهر سلبية في أوساط الطلبة كالغش في الامتحانات إنما يدل على درجة القصور من قبل البيئة الجامعية التي تعني بالجانب الأكاديمي والعلمي على حساب الجوانب التربوية، حيث أصبح الطالب يعيش حالة تناقض وصراع بين قيمه وأهدافه الخاصة، وقيم وأهداف المجتمع الذي يعيش فيه، فقد سادت القيم المادية والسلبية واللامبالاة واللامعيارية، وضعفت الموجهات السلوكية والفكرية، وعدم الرغبة في العمل والإنجاز، وعدم الصدق والأمانة في التعامل، والتبعية في سلوكياته وأفكاره وأفعاله لكل ما هو مستورد، ولعل شيوع مثل هذه الوضعية في حياة الطلبة داخل الجامعة يؤدي بالنتيجة إلى إحساسهم بالصراعات القيمية بين ما هو موجود داخل الجامعة وخارجها، وبين الواقع والطموح²⁰.

3. أهداف الجامعة

يجمع المفكرون والمعنون والمهتمون بالجامعة على أن الهدف الشامل في الجامعة هو تنمية شخصية الطالب بجميع أبعادها وبالتالي تنمية المجتمع، تبعا لخصائص الطالب وواقع المجتمع ومتطلباته واحتياجاته وهناك الأهداف الخاصة التي تلعب دورا مهما وأساسيا في التعليم في الجامعة فهي التي تحدد أسلوب التدريس ونوع الوسائل وطرق التقدم وغيرها من الأمور المتعلقة بالعملية التعليمية ووضوح هذه الأهداف ودقتها أمر في غاية الأهمية للأستاذ والطالب على السواء ذلك أن هذه الأهداف تعتبر من الموجهات الأساسية لجميع الفعاليات والنشاطات التعليمية التي يقوم بها كل من الأستاذ والطالب فهي التي تقوم الأستاذ ليلعب دوره التعليمي بمهارة وكفاءة، كما أنها هي التي توجه الطالب ليمارس دوره التعليمي بفعالية ولهذا فإن الأهداف العامة للجامعة هي محصلة الأهداف الخاصة لها وبالتالي فإن تحقيق الأهداف الخاصة للتعليم في الجامعة يعني تحقيق أهدافها العامة، من خلال إعداد الكفاءات المتخصصة في مجالات المعرفة والمهن كالأطباء والمعلمين والمهندسين... إلخ²¹، كما تهدف الجامعة إلى إكساب الطالب القدرة على تنمية شخصيته على الإيجابية والإنتاجية وحل المشكلات الاجتماعية وتدريبه على جمع المعلومات من مصدرها وتنظيمها وتوضيح معانيها²²، فالكليات والجامعات تلعب الدور الوظيفي في مجال اكتشاف واختراع المعرفة الجديدة عن طريق تخصيص مواردها لهذا الغرض، كما أنها تكسب الأفراد القدرة على التفكير العلمي السليم والقدرة على النقد البناء وتعددهم لمواجهة التغيرات الجديدة من خلال التكيف والاستفادة منها²³.

II. الجامعة والمجتمع

تعد العلاقة بين الجامعة والمجتمع علاقة جدلية، فهي تقوده وتتبعه في نفس الوقت، تقوده بوصفها مستودعا للفكر والعلم والبحث والتأصيل، وتتبعه بوصفها إحدى مؤسساته العاملة في نسيجه الأيديولوجي والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والتربوي، وفي سياق ذلك فإن أي أزمة في الفكر التربوي في الجامعة هي أزمة في فكر المجتمع، ولهذا تعد خدمة المجتمع والنهوض به من الأدوار الرئيسية للجامعات، ويقصد بهذا الدور الأنشطة غير المباشرة الموجهة لطلابها للوفاء باحتياجات البيئة المحيطة من التخصصات المختلفة، والعمل على ربط البحث العلمي بمشكلاتها، والأنشطة المباشرة الموجهة للآخرين بهدف إحداث تغيرات مرغوب فيها تؤدي إلى نمو المجتمع وتقدمه²⁴.

لقد كانت الجامعات من أكثر المؤسسات التربوية والتعليمية تأثراً بالتجديدات، بل إن بعض العاملين فيها أسهموا في هذا الأمر حيث تعد الجامعة ومؤسساتها العلمية والتربوية والبحثية التابعة لها من العناصر الأساسية في قيادة المجتمع وتوجيهه التوجيه الصحيح والفاعل نحو التطور والرفق والحاق بعجلة التغيير المتسارعة في العالم، كي يواكب هذا المجتمع تلك التطورات ويتعامل معها ويستجيب لإفرازاتها في جوانب الحياة المختلفة، ويستثمرها في عملية البناء والتنمية الاجتماعية الشاملة في مختلف الميادين.

إن التعليم يؤدي دوراً هاماً في تطوير المجتمع وتنميته، وتعتبر الجامعة أهم المؤسسات الاجتماعية التي تؤثر وتتأثر بالجو الاجتماعي المحيط بها²⁵، حيث أصبحت الجامعة في عصرنا الراهن أحد المقومات الأساسية للدولة العصرية وإليها ترجع مهمة نقل المجتمع من مرحلة التخلف إلى مرحلة متقدمة من النمو، وذلك لما يتوافر لديها من إمكانيات وقدرات مؤهلة تأهيلاً عالياً للتعامل مع المشكلات والتحديات التي تواجه المجتمع، ولم يعد دور الجامعة مقتصرًا على مواجهة التحديات الآنية فقط، بل امتد إلى الاستشراف والتنبؤ بتلك التحديات في المستقبل واتخاذ التدابير والإجراءات اللازمة للتصدي لها قبل وقوعها²⁶، وذلك أثناء تطبيق خطط التنمية وبرامجها.

وباعتبارها أعلى مؤسسة في المجتمع فإنه يقع على الجامعة مسؤولية التصدي للتحديات التي تواجهها، فالجامعة تمتلك القدرات العلمية والفكرية القادرة على التعامل مع هذه التغيرات، وهي المكان الذي يدرس أوضاع المجتمع ومشكلاته، وتعمل على إيجاد الحلول لها، من خلال توظيف الدراسة والبحث لمعالجة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية وحتى السياسية، فالشباب الجامعي كجزء من المجتمع ينتظره دور مهم في بناء وتشيد صرح مجتمعه من أجل ترسيخ مكانته في العالم والمحافظة على استقلاله السياسي والاقتصادي والثقافي²⁷.

أ. علاقة الجامعة بالمجتمع

إن اتصال الجامعات بمجتمعاتها وتقديم مجموعة من الأدوار والأنشطة والخدمات لهذا المجتمع أصبح أمر ضروري تفرضه التغيرات المعاصرة، قلم بعد قيام الجامعة بخدمة مجتمعاتها أمراً اختيارياً كما في جامعات دول العالم الثالث، كما أن عضو هيئة التدريس مطالب بدور حيوي في تقديم الخدمات المجتمعية ويجب أن يراعى ذلك عند اختياره وإعداده وتكوينه، والوقوف على أهم المعوقات التي تحول دون قيامه بهذه الأدوار على الوجه الأمثل واقتراح الحلول لتلك المعوقات بهدف تفعيل دور عضو هيئة التدريس بالجامعات في مجال خدمة المجتمع²⁸.

وتأخذ العلاقة بين الجامعة والمجتمع صبغة خاصة بسبب ما تتميز به أهدافها وفعاليتها ومدخلاتها، وأهم جوانب هذا التمييز أن العنصر الأساسي في هذه العلاقة هو العنصر البشري، فالجامعة تستقطب من المجتمع أعلى فئاته علماً وثقافة (العلماء والمفكرين)²⁹.

والعلاقة بين الجامعة والمجتمع علاقة عضوية لها أبعاد كثيرة، وهي علاقة تقوى وتشتد في بعض الأحيان، وتضعف وتهدن في أحيان أخرى، وهي في كلتا الحالتين تتأثر تأثيراً مباشراً أو غير مباشراً بنظم الحكم المختلفة والفلسفات التي تقوم عليها هذه النظم، حيث أن كل تغيير يطرأ على المجتمع إنما ينعكس على الجامعة، كما أن كل تطور يصيب الجامعة يصاحبه تغيير في المجتمع الذي نعيش فيه، والأزمة التي تنشأ بين الجامعة والمجتمع إنما تنشأ نتيجة الخلاف حول:

- الدور الذي تقوم به الجامعة بالفعل والمفروض أن تحرص عليه لتظل جامعة.
- الدور الذي اختاره لها رجال السياسة.

▪ الدور الذي يحتاجه المجتمع بالفعل، ويرى أنه من الأولويات التي ينبغي أن تظطلع.

ويرى البعض أن من أهم المسلمات التي تقوم عليها علاقة الجامعة بمجتمعها هي أن الجامعة لا تنفصل عن المجتمع، وأن علاقة الجامعة بالمجتمع هي علاقة الجزء بالكل، فلا توجد الجامعة أبداً من فراغ، بل لكل إقليم خاص بها، وبيئة معينة تؤثر بطريق مباشر وغير مباشر في طبيعتها ونوعية الأنشطة المختلفة التي تقوم بها سواء أكانت أنشطة تعليمية أو بحثية أو إرشادية، ومن ثم فإن غاية الجامعة الحقيقية ومبرر وجودها هو خدمة المجتمع الذي توجد فيه ومعنى ذلك أن ارتباط الجامعة بمجتمعها يعطيها شرعيتها ويبرر وجودها حيث إنه ليس أخطر على الجامعة من أن تنفصل عن مجتمعها وتنحصر داخل جدرانها تنقل المعرفة دون ارتباط وثيق بالمجتمع وقضاياها³⁰.

ب. خدمة الجامعة للمجتمع

أ. خدمة المجتمع

تعرف خدمة المجتمع بأنها "الجهود التي يقوم بها الأفراد أو الجماعات أو المنظمات أو بعض إنسان المجتمع لتحسين الأوضاع الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية"³¹.

كما يعرفها عبد الحليم عزب بأنها نشاط تقوم به الجامعة لحل مشكلات المجتمع أو لتحقيق التنمية الشاملة في المجالات المتعددة³².

كما تعرف أيضا خدمة المجتمع بأنها "تلك العملية التي يتم من خلالها تمكين أفراد المجتمع وجماعته ومؤسساته وهيئاته من تحقيق أقصى استفادة ممكنة من الخدمات المختلفة التي تقدمها الجامعة بوسائل وأساليب متنوعة تتناسب مع ظروف المستفيد وحاجاته الفعلية"³³.

كما تعرف المجالس القومية المتخصصة خدمة المجتمع بأنها "كل ما تقدمه كليات الجامعة ومراكزها من أنشطة وخدمات تتوجه بها إلى غير طلابها النظاميين أو أعضاء هيئة التدريس بها، من أفراد المجتمع ومؤسساته بهدف إحداث تغييرات سلوكية وتنمية في البيئة المحيطة"³⁴.

ب. مفهوم خدمة الجامعة للمجتمع

يعرف كل من شانون 'Shannon' وشونفلد 'Schoenfeld' الخدمة التي تقدمها الجامعة لمجتمعها على أنها "نشاط ونظام تعليمي موجه إلى الغير طلاب الجامعة، ويمكن عن طريقة نشر المعرفة خارج جدران الجامعة وذلك بغرض إحداث تغييرات سلوكية وتنمية في البيئة المحيطة بالجامعة ووحدها الإنتاجية والاجتماعية المختلفة"³⁵.

ونجد أن هذا التعريف يتطلب أن تضع الجامعة جميع إمكاناتها المادية والبشرية في خدمة المجتمع عامة، وفي خدمة المجتمع الإقليمي، ويتطلب أيضا معرفة الاحتياجات العامة للمجتمع، وترجمتها إلى نشاط تعليمي في المجتمع الذي تخدمه الجامعة، ويدل هذا على اختلاف الخدمات التي تقدمها كل جامعة وذلك لاختلاف طبيعة المجتمعات المحلية واختلاف احتياجاتها ومشكلاتها.

كما يقصد أيضا بخدمة الجامعة للمجتمع بأن تكون الجامعات في مجتمعاتها المحلية مراكز إشعاع حضاري وقوة راشدة دافعة نحو التقدم والازدهار³⁶.

كما يرى حامد عمار 1996 أن خدمة الجامعة للمجتمع تعني أن تقوم الجامعة بنشر وإشاعة الفكر العلمي المرتبط ببيئة الكليات، وتقوم بتبصير الرأي العام بما يجري في مجال التعليم فكر أو ممارسة، وعليها أيضا أن تقوم بتقويم مؤسسات المجتمع وتقديم المقترحات لحل قضايا ومشكلاته وتدلي بتصورات وبدائل وأيضا تثير وتشيع فكرا تربويا داخل المجتمع³⁷.

ج. أهداف الجامعة لخدمة المجتمع

يحدد المتخصصون أن للجامعة ثلاثة مجموعات من الأهداف وتتلخص في الأهداف التالية:

- أهداف معرفية: وهي تتناول ما يرتبط بالمعرفة تطورا أو تطويرا أو انتشارا .
- أهداف اقتصادية: والتي من شأنها أن تعمل على تطوير اقتصاد المجتمع والعمل على تزويده بما يحتاج إليه من خامات بشرية وما يحتاج إليه من خبرات في معاونته للتغلب على مشكلاته الاقتصادية وتنمية ما يحتاج إليه من مهارات وقيم اقتصادية.

- أهداف اجتماعية: والتي من شأنها أن تعمل على استقرار المجتمع وتخطي ما يواجهه من مشكلات اجتماعية³⁸. وتتمثل الأهداف الاجتماعية فيما يلي :

- تزويد المجتمع بحاجاته من القوى العاملة المدربة تدريباً يتناسب وطبيعة تغير المهن.
- تدريب الطلاب على ممارسة الأنشطة الاجتماعية مثل مكافحة الأمية، الإدمان، نشر الوعي الصحي وغيرها.
- تكوين العقلية الواعية لمشاكل المجتمع عامة والبيئة المحلية خاصة.
- ربط الجامعات بالمؤسسات الإنتاجية في علاقة متبادلة.
- الربط بين نوعية الأبحاث العلمية ومشاكل المجتمع المحلي.
- تفسير نتائج الأبحاث ونشرها للاستفادة منها في المجتمع.
- إجراء الأبحاث البيئية الشاملة التي تعالج بعض المشكلات المتداخلة³⁹.

وهكذا يبدو أن أهداف الجامعات في المجتمعات الديمقراطية لا بد أن تختلف عن أهدافها في المجتمعات الشمولية لما بين من المجتمعات من اختلافات ولذلك يجب صيانة الأهداف التعليمية بما يتناسب مع ما حدث من تغير في أوضاع العالم.

د. أبعاد الجامعة لخدمة الجامعة

يوجد ثلاث أبعاد لقيام الجامعة لخدمة المجتمع وهذه الأبعاد وهي كالتالي:

أولاً: البعد الجغرافي

ويطلق على هذا البعد أحيانا التعليم الإرشادي أو التعليم بغرض خدمة المجتمع المحيط بالجامعة أو التعليم خارج جدران الجامعة، ويقصد به تقديم المناهج النظامية التي تؤدي إلى الحصول على درجات جامعية لهؤلاء الذين لا يستطيعون الحضور إلى الجامعة ، وذلك عن طريق عقد فصول دراسية نهائية أو مسائية خارج الجامعة، أو عن طريق الدراسة بالمراسلة أو عن طريق التعليم عن طريق الإذاعة والتلفزيون⁴⁰.

ثانياً: البعد الزمني

ويسمى هذا البعد أحيانا بالتعليم المستمر أو التعليم العالي للكبار ، ويقصد به توفير فرص الدراسة العالية للكبار الذين أتموا تعليمهم الرسمي بالمدارس بهدف تحسين مستوى الفرد وزيادة كفاءته المهنية كمواطن، وذلك عن طريق إنشاء الفصول الدراسية

والقاء المحاضرات والتعليم بالمراسلة وتدريب المناهج القصيرة، وعقد ندوات البحث، وغير ذلك من أشكال التعليم المستمر، وفي مثل هذه الدراسات تطبيق برامج جامعية ملائمة لخدمة الكبار⁴¹.

ثالثا: البعد الوظيفي والخدمي

ويشمل هذا النوع على ما يسمى بالخدمات التعليمية والأبحاث التطبيقية ويمثل تطوير الموارد الجامعية، واستغلالها لمقابلة احتياجات واهتمامات الشباب غير الجامعي والكبار، وبغض النظر عن السن أو الجنس أو الخبرات التعليمية السابقة، كما يقوم بتقديم الاستشارات للهيئات والأفراد في المجالات المختلفة الزراعية والصناعية والتجارية⁴².

خلاصة

تعتبر الجامعة في مختلف دول العالم -المتقدم والنامي على حد سواء- أساسا من أسس تطوير وخدمة المجتمع على قواعد ومعايير علمية سليمة، فهي تقوم بإعداد القوى البشرية المؤهلة تأهيلا علميا وأخلاقيا من أجل العمل في شتى قطاعات المجتمع، وتساهم في وضع خطط التنمية للنهوض بالمجتمع، كما تقوم بتوجيه النقد البناء لما يحدث من ممارسات، وهي السبيل إلى نشر المعرفة وتنميتها وتوظيفها، بالإضافة إلى أنها معقل من معقل الدفاع عن مقومات المجتمع وقيمه ومعاييرها التي هي ركائز استمرارية وجوده وتطوره، ولهذا يتضح جليا العبء الملقى على التعليم الجامعي لمواجهة كل المحاولات التي ترمي إلى زعزعة استقرار المجتمع وتفكيكه، والتصدي لكل آفة أو انحراف سلوكي من شأنه أن يقوم بإفشال العملية التعليمية أو الانحراف بها عن أهدافها الرامية إلى خدمة المجتمع وتنميته.

قائمة المراجع:

- ¹ مراد بن أشنهو، نحو الجامعة الجزائرية، تأملات حول مخطط جامعي، ترجمة عائدة أديب، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1981، ص3.
- ² محمود محمد عبد الله كسناوي، "توجيه البحث العلمي في الدراسات العليا في الجامعات السعودية، لتلبية متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية (الواقع - توجهات مستقبلية)"، ندوة الدراسات العليا بالجامعات السعودية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، 2001.
- ³ محمد منير مرسي، التعليم الجامعي المعاصر: قضاياها واتجاهاتها، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 1977، ص 10.
- ⁴ فضيل دليو وآخرون، إشكالية المشاركة الديمقراطية في الجامعة الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2001، ص 79.
- ⁵ أحمد أبو ملح، أزمات التعليم العالي وجهة نظر تتجاوز حدود الأقطار، الفكر العربي، العدد98، بيروت، معهد الانتماء العربي، 1999، ص21.
- ⁶ محمد مصطفى الأسعد، التنمية ورسالة الجامعة في الألف الثالث، المؤسسة الجامعية، ط1، بيروت، 2000، ص 152.
- ⁷ سامي سلطي عريفج، الجامعة والبحث العلمي، ط1، دار الفكر، الأردن، 2001، ص27.
- ⁸ محمد مصطفى الأسعد، مرجع سبق ذكره، 2000، ص137.
- ⁹ قاسم حبيب جابر، "الجامعة والتنمية خدمات متبادلة"، مجلة الفكر العربي، العدد98، بيروت، 1999، ص137.
- ¹⁰ رقية عزاق، رؤية حول نوعية التعليم العالي في الجامعة الجزائرية، مطبعة علي بن زايد، بسكرة، الجزائر، 2008، ص80.
- ¹¹ سعيد التل وآخرون، قواعد الدراسات الجامعية، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، 1997، ص 145.
- ¹² عبد العزيز القوسي، "المدرس الجامعي وما يتصف به"، مجلة الثقافة العربية، العدد4، القاهرة، 1976، ص14.
- ¹³ حسن إبراهيم، "محنة التعليم الجامعي: بعض القضايا الرئيسية"، مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، السنة 10، العدد101، بيروت، 1997، ص40.
- ¹⁴ محمد إبراهيم كاظم، "الحاجة إلى تصورات وتوجهات جديدة متوائمة في التعليم العالي والجامعي"، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر، العدد7، 1984، ص ص12-14.

- ¹⁵ شبل بدران، "الجامعة وثقافة الذاكرة"، التربية المعاصرة، السنة 13، العدد 41، 1996، ص 67.
- ¹⁶ علي سعيد إسماعيل، "الحياة الجامعية في مصر"، مجلة دراسات تربوية، المجلد 8، العدد 49، القاهرة، 1993، ص 13-21.
- ¹⁷ عبد الله عويديات، إعداد الطالب لمواجهة القرن الحادي والعشرين، ورقة عمل مقدمة في منتدى عبد الحميد شومان الثقافي، المدرسة الأردنية وتحديات القرن الحادي والعشرين، عمان، 1999، ص 7.
- ¹⁸ نادر فرجاني، "مساهمة التعليم العالي في التنمية في البلدان العربية"، مجلة المستقبل العربي، العدد 237، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998.
- ¹⁹ L. Dusica Tosevski, P. Milica Milovancevic and D. Saveta Gajic, 2010, "Personality and psychopathology of university students", Current Opinion in Psychiatry, 23(1), pp. 48-52.
- ²⁰ عبد اللطيف خليفة، "التغير في نسق القيم لدى الشباب الجامعي: مظاهره وأسبابه"، بحث مقدم للمؤتمر السنوي الثاني بجامعة الزرقاء الأهلية بعنوان "الشباب الجامعي ثقافة وقيم في عالم متغير"، 27-29/جويلية/2004، الأردن، 2004.
- ²¹ نفس المرجع، ص 134.
- ²² عبد الرحمان عبد السلام، طرق التدريس للمواد الاجتماعية، ط 1، دار المناهج، عمان، 2002، ص 25.
- ²³ حسين عبد الحميد رشوان، التغير الاجتماعي والمجتمع، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 2008، ص 245.
- ²⁴ فوزي هاشم العبادي وآخرون، إدارة التعليم الجامعي: مفهوم حديث في الفكر الإداري المعاصر، مؤسسة الوزاق للنشر والتوزيع، الأردن، 2008، ص 301.
- ²⁵ هاشم فوزي العبادي، يوسف حجيم الطائي، التعليم الجامعي من منظور إداري، دار اليازوري، عمان، 2009، ص 303.
- ²⁶ عبد الله بوطانة، "الجامعات وتحديات المستقبل"، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، المجلد 9، العدد 2، الكويت، 1988، ص 93.
- ²⁷ محمود جعفر جمل الليل، "دراسة لبعض المتغيرات المرتبطة بالتوافق مع المجتمع الجامعي لطلاب وطالبات جامعة الملك فيصل"، المجلة العربية للتربية، المجلد 13، العدد 1، تونس، 1993، ص 188.
- ²⁸ إبراهيم عبد الرافع السماروني، سهام ياسين أحمد، تفعيل دور عضو هيئة التدريس بالجامعات المصرية في مجال خدمة المجتمع، مجلة التربية، كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد 127، جزء 1، أكتوبر 2005، ص 30.
- ²⁹ محمد حربي حسن، دور الجامعة في تنمية بيئتها، مجلة الغدرة العامة، العدد 68، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1990، ص 59.
- ³⁰ نادية جمال الدين، التعليم الجامعي المعاصر: حديث حول الأهداف وإطالة على المستقبل، الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس، المجلد 8، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1983، ص 75.
- ³¹ مجدي محمد مصطفى، تحديد أولويات خدمة المجتمع من منظور الخدمة الاجتماعية: دراسة تطبيقية على مجالات التعليم والصحة والشؤون الاجتماعية بمدينة العين، مجلة التربية، كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد 109، ج 2، جوان 2002، ص 7.
- ³² محمد محمد عبد الحليم، محمد علي عزب، دور كلية التربية جامعة الزقازيق في تنمية البيئة وخدمة المجتمع: الواقع والمعوقات وإمكانية التغلب عليها، مجلة كلية التربية، العدد 28، جامعة الزقازيق، مصر، 1997، ص 66.
- ³³ وحدة البحوث الاجتماعية والتربوية والنفسية في عمادة البحث العلمي، توجيه البحوث العلمية لخدمة المجتمع، دراسة تطبيقية على جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الملتقى الأول لعمداء مراكز خدمة المجتمع في الجامعات السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2000، ص 79-80.
- ³⁴ رئاسة الجمهورية العربية المصرية، المجالس القومية المتخصصة، دور الأزهر وجامعته في خدمة المجتمع وتنمية البيئة، موسعة المجالس القومية المتخصصة، المجلد 24، 1998، ص 669 - 670.

³⁵ Shannon, T. J., & Clarence A. Schoenfeld, University extension, The Center for Applied Research in Education, New York, 1965, p3

³⁶ عبد الفتاح إبراهيم تركي، مستقبل الجامعات العربية بين قصور واقعها وتحديات الثورة العلمية: جدل البني والوظائف، مؤتمر التعليم العالي في الوطن العربي "أفاق مستقبلية"، القاهرة، رابطة التربية الحديثة، المجلد 1، 1990، ص 135.

³⁷ حامد عمار، دور كليات التربية في خدمة المجتمع وتنمية البيئة، المؤتمر السنوي الثالث عشر لقسم أصول التربية، جامعة المنصورة، 1996.

³⁸ عبد السلام عبد الغفار، "دعوة لتطوير التعليم الجامعي"، مجلة دراسات في التعليم الجامعي، جامعة عين شمس، مركز تطوير التعليم الجامعي، عالم الكتب، القاهرة، 1993، ص 14.

³⁹ إيناس عبد المجيد حسن، "تطوير أهداف التعليم الجامعي المصري في ضوء بعض المتغيرات العالمية والمحلية والاتجاهات المستقبلية وتحديات معوقات تحقيقها"، دراسة ميدانية على جامعة الزقازيق، المؤتمر القومي السنوي الثاني لمركز تطوير التعليم الجامعي "الأداء الجامعي الكفاءة والفاعلية والمستقبل"، جامعة عين شمس، مركز تطوير التعليم الجامعي، من 10/21 إلى 11/2، 1995، ص 521-522.

⁴⁰ شفيق بليغ، رجائي شريف، دور الجامعات المصرية في خدمة المجتمع، المجلس الأعلى للجامعات، القاهرة، 1983، ص 4.

⁴¹ المجالس القومية المتخصصة، تقرير المجلس القومي للتعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا: هياكل وأنماط التعليم الجامعي في مصر، الدورة العاشرة، 1983، ص 105.

⁴² عامر يوسف الخطيب، نموذج للتربية البيئية في الجامعات، الجامعة الإسلامية بغزة، دراسة حالة، مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، العدد 10، ج 3، 1989، ص 11-12.